

بسام شمس الدين

الباهوت

قصص

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٤٦

تأسست المكتبة الأمر في عدن قبل عام 1890
تأسس المركز في صنعاء عام 1994

رقم الإيداع بدار الكتب صنعاء 47 / 2006

الطبعة الأولى 1427هـ الموافق 2006م

حقوق الطبع محفوظة

يمنع طبع هذا الكتاب أو جزء منه بكل طرق الطبع
والتصوير والنقل والترجمة والتسجيل المرئي والمسموع
والحاسوبي وغيرها إلا بإذن خطي

مركز عبادي للدراسات والنشر

ت: 219618 / فاكس: 219619
ص. ب: 662 صنعاء الجمهورية اليمنية

التنفيذ الطباعي: مركز عبادي للدراسات والنشر

لوحات الخلاف: صورة غارب ياباني قديم
الرسم الداخلي: للفنان / عمار نعان

الثعبان الأسود

الإهداء: إلى أحمد محمد المعلمي

أبي لن يعطيك اسمه إلا إذا وعدته بشيء ثمين،
فتراه يتقتر في كسب لقمة العيش حتى نهم أن لا نأكل
من كسب يده.. ينام فوق الصندوق كل مساء ويصحو
في أوقات متفاوتة من الليل ليرى قفله الغليظ هل
مازال في موضعه أم لا...

كانت أمي من عائلة كريمة وكانت تود البقاء
معه رغم بخله لتطوينا بجناحيها الرحيمين ، لكنه
طلقها بسبب فرخة هزيلة ذبحتها يوم حل علينا أضياف
من أبناء عمومتنا.. بعدها تزوج بامرأة عقيم كي لا
تتجب له أطفالاً ينغصون عليه عيشه حسب قوله.

أنا وأختاي نجمة وسوسن نعيش في نقش لا مثيل
له.. يرى أبونا نفسه أنه سادس الخلفاء الراشدين
المشهورين بالزهد عن متاع الدنيا.. في المدرسة أكون

آخر طالب يدفع ثمن المنهج الدراسي، وإذا انتهى مداد قلّمي يجب أن أعود به إلى أبي لكي يؤمن بأنه لم يعد صالحاً للاستعمال، ومن ثم يشتري لي قلماً وضيعاً بعد توصل ومتابئة مستمرة.. أنت زوجة أبي الجديدة بالنكد علينا جميعاً حتى على أبي.. فكانت تقوم بتهريب بعض أغراض المنزل إلى بيت أهلها، وكنا نرى ذلك ولكن لا نجرؤ على إعلام أبي بذلك خوفاً من اتهامه لنا بالسرقة، فقد كان يحبها حباً جماً.. وكانت هي الأمرة والزاجرة في المنزل والسيدة المطاعة.. سألت أبي أحد الأيام عن الدفتر الممزق الغلاف الرث الأوراق الذي أراه كثيراً أمامه على الطاولة فأجاب قائلاً: هذا دفتر حساب مصروفات نجمة.. وبفضول المراهق قلت له: والدفتر الآخر الباهت اللون يا أبي؟ حين ذلك رد بعصبية: وذلك يا نثرار دفتر مصروفات سوسن.. لم أشأ أن ألح عليه سائلاً في تلك اللحظة عن سبب هذه الحسابات وطبيعتها لأن روحه قد تشبعت غضباً وليس بعيداً أن أتعرض للكلمات القاسية ورفساته الموجعة إن أنا تماديت في الاستفسار آنذاك.. في يوم آخر سألته عن طبيعة حسابات الدفترين وكان يومذاك رائق المزاج هادئ البال فقال مجيباً بجديّة دون أي خجل: إذا جاء طالب الزواج

من أجل الاقتران بإحدى أختيك، يتحتم عليه أن يدفع كل ما أنفقته عليها من مال مذ كانت صغيرة حتى تاريخ يوم الزفاف، ناهيك عن المهر المستحق..

فقلت مضمراً في نفسي: إذا كان الأمر كما قال أبي فطالب الزواج كسبان، وذلك لأن المصروفات التي يقدمها أبي زهيدة للغاية وعلى ما أظن أن أبي سيخترع أرقاماً وهمية تفوق الحد المعقول.

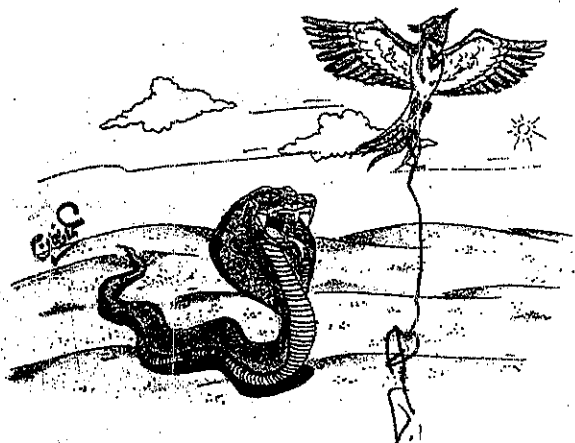
بعد عام بلغت أختاي مبلغ الشباب لأنهن تكبراني بثلاثة أعوام.. ولم يأت طالب الزواج رغم أن أغلب فتيات القرية من هن في مثل سنهن قد تزوجن والبعض منهن قد صرن أمهات لطفل أو طفلين.. لا ينقص نجمة وسوسن الجمال أو الأخلاق.. فهن أشهر من نار على علم في تلك السمات، ولكن جشع أبي وجبروته حال دون مجيء طالب الزواج، وفي ظهيرة يوم مكود رأيت نجمة على حين غرة تبكي، ولما رأيتي كفكت دموعها وحبست نشيجها في جوف صدرها بصعوبة، وحين سألتها عما أصابها لم تجب.. تكررت مشاهد البكاء في أوقات مختلفة فعلمت أن هناك سراً مؤلماً لا تود البوح به.. عرفت السبب حين جاء إلي ابن قرينتنا محسن بحياء

باكياً وشاكياً حبه لنجمة والموانع التي تحيل دون إتمام زواجهما.. إنه شاب وسيم وخلوق ويعمل صيدلانياً في الوحدة الصحية بالمديرية. وهو مستور الحال وينفق على والديه العجوزين بسخاء، وقد فوت على نفسه فرصاً عديدة للزواج من بعض قريباته على أمل الاقتران بنجمة، ولكن كيف السبيل إلى ذلك وأبي كحجر عثرة في طريق طالبي الزواج.. ولأنني كنت على علاقة عاطفية بإحدى فتيات القرية في تلك الآونة أشققت عليه بشدة وكان ذلك ما بوسعي أن أقوم به لمساعدتهما في تلك المحنة.. مسكينة نجمة اختل عقلها بعد أيام قلائل وصارت تتوهم وجود أشياء لا أثر لها في المطبخ أو في غرفتها وتظل تصرخ مستغيثة: الثعبان الأسود ينقض علي، الطاهش (المرقمط) يحاول التهامي..

جاء يوم مقدور خرج فيه أبي إلى السوق وحين عاد وجد صندوقه الخشبي مكسوراً أو بالأصح سرير نومه والقفل مشطور نصفين على الأرض فصرخ صرخة مدوية خرجت معها روحه وسقط على الأرض دون حراك.. فقد أبي حياته لهول الصدمة فوجئنا أصابع الاتهام إلى زوجته التي كانت صباح ذلك اليوم في

المنزل ثم اختفت فجأة تاركة وراءها منزلاً خلوياً
 وصندوقاً مكسوراً فارغاً.. بعد ذلك قمت بتقديم دعوى
 ضدها إلى مخفر الشرطة القريب فتم إلقاء القبض عليها
 فاعترفت بأنها من قام بكسر الصندوق ونشل ما بداخله
 من أموال مكنوزة.. عادت إلينا الأموال وكانت كثيرة
 وأخذ كل منا نصيبه منها، وفي ذلك اليوم جاء محسن
 طالباً الزواج من نجمة وجاء شاب آخر في ذات اليوم
 يطلب سوسن فتم لهم ذلك. وقالت لي نجمة يومذاك أن
 الثعبان الأسود الذي كان يطاردها قد اختفى..

٢٠٠٣م



كَأَن لَّمْ يَكُنْ

الإهداء: إلى نور الدين مزاح

الفلاحون يتساربون إلى الأحوال، إذ جاء خطاب عاجل بمعية رسولين ينبئ بدنو مجيئه. إنه السيد عمر زب ذلك الوادي العريض والعرضات المحيطة والشعاب حتى المنازل والحيطان والماشية والدجاج والبيض وما تجود به المواشي من سمن ولبن وأصواف. لم يذر لهم شيئاً نظير عملهم الشاق بأرضه غير ما يسد بالكاد بطونهم من القوت وما يروي عطشهم من ماء عين الجبل الذي أدعى أنها عينه وأن ماءها الرقراق دموعه التي يسيلها متى شاء ويحبسها متى يشاء..

ولا زال يعتد في نفسه ويلدعهم بالمنة منذ أن أباح لهم فضلات ثروته الحيوانية وما تيبس من أشجار

الوادي وهي أشياء كما يظن ذات جدوى ومنافع لا تحصى وقد انتفخ جوف منزل في القرية حتى أن الباب لم يسمح لجسده بالمرور وزغردن عجائز القرية وقلن بصوت شجي كأنه صوت أبكار: أين عينك يا حاتم لترى سيدنا عمر صاحب الكف الندية واهب الفضلات والحطب؟

كانت بادرتة تلك بشرى مثيرة ومفخرة عريقة، حيث أن السيد عمر الإقطاعي الميسور غير مأمول العطاء ولطالما يشكو ويتبرم من الزمان والنفقات واليد الكادحة وخزائنه ملأى بالخلال وأكياس البن والحبوب، لكنه ينفس على بعض الفلاحين أن لديه كوز ماء بارد قابع بسطح داره.

يومئذ أتى السيد عمر على سيارة مكشوفة في صندوقها الخلفي غرف صغيرة فارغة على شكل طوابق، وقد صممها خصيصاً لصنوف الهبات التي يتحصل عليها من ناس القرية، فهناك ملجأ للكباش وآخر صغير للفراخ والديوك وثالث للعسل والسمن والتوابل ورابع للبيض وهو ملجأ مبطن بأقمشة ناعمة

تمنع من انكسار البيض ومنذ أن انكسرت خمس
بيضات بسبب وعورة الطريق قام بتبطين جدران
الملجأ بالعطب ولم يسكت على تلك الكارثة حسب
وصفه لها فقد أقام الدنيا ولم يقعدھا وخصم على
السائق راتب شهر واتهم حارسه المخلص بسوء
التدبير وعدم إحكام الرصة. حدث هذا قبل أعوام ولم
يزل يذكر ذلك اليوم وتفيض عيناه بالدمع وأشرك
الناس من معارفه وأقربائه بهذا الهم العويص حتى ابنه
شفيق الدارس في أمريكا بعث إليه رسالة تحمل هذا
الخبر.. ((هل تعلم يا ولدي أنه قبل عام انكسرت عليّ
خمس بيضات أثناء عودتي من قرية المناجم؟)) وهكذا
خيل لبعض السذاج أن خبر الخمس البيضات سيذاع
في نشرة أخبار النساء أو ينشر في مجلة الحوادث
المصرية.. في يوم الموعد رأى ناس القرية سيارة
السيد عمر تتحدر من طريق الجبل فشرعوا يتأهبون
بالغلال والهبات الأخرى.. هذه المرة كان السيد عمر
على عجلة من أمره، فلم ينزل ليطوف الأحوال
والشعاب أو يتجسس على مخابئ الفلاحين وزرائبهم

أو يجبرهم على استضافته. فقط وقف لدى مؤخرة السيارة وأوحى للناس بجلب الهبات، فترى البعض يأتيه بكيش وفرختين، وهذا يأتي رادفاً كيساً من الحبوب وفي معيته قارورتا سمن.. تغيبت إحدى الأرامل عن المجيء فسأل عنها بلهفة فقيل له أنها لازالت تطارد الدجاج في أزقة القرية لتهبه ديكها الزاهي عن طيب قلب، فظل يزرق على الفلاحين باستعجالها وتريث حتى الظهيرة.. امتلأت مؤخرة السيارة وبدأت مترنحة تشكو ثقل حمولتها واقترح خفيـره مرزوق أن تبقى الغلال في حوزة الفلاحين ريثما يعود لها السائق لينقلها في ذات اليوم لكنه- أي السيد عمر- أخرسه بضربة عنيفة من عصاته السمكية التي يهش بها المواشي وهو في طريقه لبييعها في السوق، مختلقاً مئات الأسباب لرفضه أدناها غلاء البترول وأقظعها أن يستردها الفلاحون، فقد جاءت بعد شق الأنفس حسب زعمه، فكيف يغامر ويتركها لديهم ولو مؤقتاً!! همس أحد الفلاحين قائلاً في سره: قاتلك الله، لقد جاءت من أيدي مكدودة مشققة، لكنها

سخية وأمينة ولولا لقمة العيش ما أحيينا أرضك ونحن
نعمل من أجل التراب الخصب والبراعم الخضراء
الصغيرة وليس من أجلك يا وقيد جهنم.. قاتلك الله..
تحركت السيارة فتأوه الفلاحون بارتياح كما لو كانت
تقبع فوق كواهلهم الخشنة، وعند المرتفع تردت إلى
عمق شعب مائل وانكسرت مؤخرتها عند ارتطامها
بصخرة عاتية.. وراق السمن والعسل وتهشم البيض
واتحدت رائحة السمن النفاذة برائحة الدم ورائحة
التوابل المحضلة والبهارات الأخرى المبعثرة، واستقلت
جميعها برائحة خاصة غامضة، ولم يشعر أهل القرية
إلا على جيش عجيب يغزو القرية. فراخ راجفة
تصيح، وديوك تؤذن في غير ميقاتها المعتاد وكباش
تنغو البعض منها يجرجر ساقيه المرضوضين... ذهب
الناس إلى الشعب ليروا ما حدث، فوجدوه كقوس قزح
مكسواً بألوان شتى واللون الأحمر الغامق هو سيد
الألوان وعصاة السيد عمر ملقاة قرب هيكل السيارة
المحطم أما هو فليس له أثر وكان لم يكن.

الهرب الأخضر

الإهداء: إلى سيف الثوباني

جاءتني صحوه عجيبة وقررت أن اقتل وقتي في
الحدائق والمكتبات العامة والمقاهي الشعبية، أذعنت آخر
الأسبوع إلى رغبتى الملحة بأن أجوس شارع باب
السياح القديم. كان علي أن أقف بانتظار الباص على
جانب الطريق.. أحسست أن بجواري فتاة ترتدي
بالطوها أسحم كلون الغراب... وصورتها تقبع خلف
قناع أسحم أيضاً. وكذا رجل أشعث نو هندام شعبي
تقليدي.. وجنبيته المعوجة تكاد أن تسقط بسبب ضعف
حزامها وراثته.. والسيء فيه أن وجنته منتفخة بفتات
القات، فغدت هيئته مأساوية مزرية.. أتى الباص ووقف
بمحاذاتي، لكن ذلك الرجل المنفوخ الوجنة كاد أن
يسحقتني عرض الباب، إذ نط عشوائياً ليصعد غير مراع
وجودي في مكان ضيق لا يسمح بمرور أكثر من

شخص، أطلقت تدمري من عمله لكنه أصدر بلبعة لم أفهمها.. وكان ألفاظه خرجت من خرمي أنه لا من فمه. صغرت عينا الفتاة وبدت وكأنها تضحك على موقفي مع الرجل. فتمنيت لها الهليكة لأنني كنت في حالة هياج.. وسرعان ما اقتعدت قرب شاب عادي المظهر. في حين تبعتني الفتاة وعيناها تدوران كعيني الحية الرقطاء، باحثتين عن مقعد شاغر.. ولكنها فجأة تمايلت ووقعت في حجري حين التقم سائق الباص غصن قات وضغط دواسة البنزين مسرعاً دون أناة أو روية، لا لشيء غير أن يخطف ركاباً من جانب الطريق قبل أن يصعد باصاً آخر.. قامت الفتاة خاجلة وأتحفت السائق بشنائم، ونعوت رديئة، وقبعت قرب صنعانية فُج، وبدت الفتاة كالمهرة المرتعبة من مهر جامع أكبر منها حجماً. وبقدر ما أشفى ذلك غليلي منها لسوء أدبها إلا أنني أيضاً بدوت كشقران انتشل من ماء بارد.

أشعل صاحبي لفاقة سيجار من نوع (بيزنز) غير محلية الصنع ولكنها في غالب الظن ممنوعة لأن رائحتها كريهة للغاية وقد تكون تالفة. تطايرت

السعلات والتذمرات.. والرجل خارج نطاق الوعي وكأن الأمر لا يعنيه. مع أن الصيحات والأصابع تشير إليه بصراحة. فاكتمنى بفتح النافذة فقط. بعد هنيهة انقشع ضباب الدخان حين ألقى الرجل بعقب النافذة إلى الخارج وصاحب الباص أو السائق يتلفت له يتصيد راكباً ووجنته هو الآخر كالبالونة توشك على الانفجار.. دفعني الفضول أن ألتفت حولي، فرأيت سبع بالونات أو أكثر في وجوه كابية محبطة تتحرك باطراد. أخرج رجل يحمل بالونة رأسه من النافذة وبصق في الهواء.. وبفعل السرعة والرياح عادت بصفته إلى داخل الباص لترتطم بصلعة رجل يتصفح جريدة الميثاق، فأسعفته بمنديلي الخاص من قبيل المواساة فمسح البصقة وهو يهدد ويصب اللعنات ويقول مشيراً إلى الجريدة:

- اللعنة عليك يا صاحب البصقة وعلى هذه الشجرة التي تلوكمها. أين عين أمين عام الحزب الحاكم؟ أراد صاحب البصقة القابع خلفي أن يعتذر ويسهب في الأسف، لكنه حين تقوه نثر فتات القات وشظاياها فوق رأسي

ومعظفي، فأنبته بشدة على فعلته فأراد أن يعاود الاعتذار.
فأطبقت بيدي فمه وتوسلت إليه أن يصمت لأنني قد
صفحت عنه إذ لست متعشماً لمزيد من فقات القات. قمت
بعدها بتنظيف ما علق برأسي ومعظفي بلا مندبل. وعدت
إلى الرجل الأصلع لأقول له مداعباً:

-يا أستاذ!! ما علاقة الأمين العام بهذه المشكلة؟ الكل
مستول يا أخي!! الحاكم والمحكوم، والحكومة ومجلس
النواب. ينبغي أن نضع حداً لهذه الشجرة اللعينة.

-أشعر بأني أعيش في زريبة مواشي تأكل
الحشائش. قالها في غضب بالغ.. فرد عليه صاحب
البصقة محذراً:

-امسك لسانك يا محترم وإلا فلقت صلعتك.

-انظر إلى المرأة. يا الله ما أقيحك وهذه الكرة
الخضراء تلتاك في فمك !

- خذْ يا أقرع الرأس.

تحولت المهاترة إلى اشتباك بالأيدي. ما أبشع معركة
تدور رحاها في باص سريع يمشي فوق إسفلت

مرضوض تغشاه فجوات ومطبات كثيرة !! تضررت
ومن حولي بأضرار جسيمة ولا سيما أنا والشاب الذي
يشاركني المقعد. أما المتشاجران فكانا سليمين نوعاً ما من
الإصابات. لأنني كنت وصاحبي ميدان المعركة لهما..
ولأن مقعدنا يفصل بينهما تماماً. بكت المرأتان وارتفع
الصراخ، والسائق لازال في غيبوبته يتمايل طرباً لصوت
كاست أبوب وأغنيته ((ماهلنيس بين الهنا والأفراح))..
طارت نظارة الرجل الأصلع ونط من باب الباص
المفتوح إلى الخارج حين رأى الرجل صاحب البصقة
يسل جنبيته. وفي ذلك الحين انفجرت البالونات الصماء
المليئة بفتات اللقات. وشعرت بنفسي أطيير في الهواء
وأجساد الركاب مغسولين بعصارة اللقات ملوثين بفتاته.
وشباً حزيق هائل طال السيارات والمحلات التجارية
والعمارات والأحياء السكنية في المدينة... واختلط صوت
سيارات الإسعاف بصوت دوريات الشرطة.. ولكنها
جميعاً لم تستطع فعل شيء. إذ كنا في تلك اللحظة نموت
دون أن نشعر ونحترق دون أن ندري بلهب أخضر.

الياهووت^(١)

امتطى الإعجاب وجه المارة في أحد الأزقة الضيقة للمدينة العتيقة، وهم يرون كوكبة من الخيول العربية الأصيلة لاح فرسانها، وكأنهم فاتحون قدامى عادوا من التاريخ مرة أخرى لكي ينصبوا أعلام الأمة فوق مدينة سام.. ويقدر إعجاب الناس في تلك الخيول أعجبوا أكثر بتلك السيارة المكشوفة التي لم يروا مثلها من قبل، فهي المركبة الوحيدة في المدينة..

لاح السائق ذو الملامح العنيدة متبجحا مزهواً في نفسه وهو يقود السيارة بطريقة مثيرة للضحك، ويقول لذاته بخيلاء: أنا السائق الوحيد في المدينة..

لم يحد من تصرفاته الوقحة إلا ذلك الرجل القابع على يمينه، والذي يقطر الكبرياء من أنفه الضخم،

(١) من الفعل يهت.. وهو الشيء المرعب والمخيف.

وهو يحتل مساحة كبيرة من المقعد الأمامي للسيارة لضخامة جثته. عرفه العابرون على الطريق بتلك العمامة البيضاء الدائرية الشكل والتوزة^(٢) التي تشد وسطه المنتفخ، وتبدو على الشق الأيمن من جسده بارزة تماماً. أخذ يرمق السائق بنظرات قاتلة حتى عرف الأخير السبب في ذلك، فقام بإخفاء غروره المتجرثم على وجهه، وأصبح أمام سيده كالقط المتلطف للجزار.. مر الموكب المحاط بالعكفة الذين تتدلى على أكتافهم بنادق الموزر^(٣) الطويلة، فتجمد الناس على جانبي الطريق وبادرت الأمهات بإدخال أطفالهن إلى المنازل ولا سيما حين علموا أنه موكب الوالي. ولما وصل الأخير إلى قصره انحنى حراس البوابة عند عبوره بالسيارة إلى الداخل، وتدافع الناس صوب البوابة، فصار الحجاب يزودونهم عنها بالعصي والهرافات، وصاح كبيرهم:

^٢ (التوزة: جنبية يرتديها القضاة والأسياد.

^٣ (الموزر: نوع من البنادق القديمة.

- أيها الناس، مولانا الولي سيعقد مجلس المظالم غداً.

ذهب أصحاب المظالم ذلك اليوم ، في حين لجأ بعضهم إلى بيوت الإيجار ليقضوا فيها باقي يومهم.. ومن سوء حظ حيدر عاقل قرية النقييل أنه وقد في ذلك اليوم ليعتذر للوالي على ما بدر من جاره سعدان الذي أساء إلى العسكري ولم يعطه أجرته... وكان الوالي قد أنفذه إليه لأنه وصف عامل الزكاة بالجائر، ورأى أن ما سيدفعه أكثر مما يجب على أمواله الشحيحة.. فما كان من العامل إلا أن وشى به، فتم اعتقاله بعد أن لفتت له تهمة السرقة..

وقد تدخل الشيخ حيدر لإصلاح ما فسد، لكن دون جدوى... وها هو بمجيئه ثانية يوغر صدر الوالي على نفسه، إذ رآه صدفة قرب البوابة عند ولوجه القصر، فغمز عليه الحاجب ومضى وكما هي العادة عرف الأخير أن عليه أن يكتز صورة الرجل في مخيلته إلى حين ينعقد المجلس ومن ثم يوقعه في فخ ما...

في اليوم التالي انعقد مجلس المظالم، وجعل العكفة ينظمون صفوف الناس، ويدخلونهم على الوالي واحداً تلو الآخر.. والجلاد منزو في ركن خاو من المجلس والسوط بيده يتحرق شوقاً إلى ظهورهم، وهو بدوره يتمنى أن تفلت ألسنتهم بما يغضب سيده من قول.. وجيء بحيدر متشبهاً به أحد العكفة إلى أن سمّره أمام الوالي وقال بأدب مشيراً إليه:

-يا مولانا، هذا الرجل سمعناه يقول لصاحبه أن فرسك عرجاء.

- لمَ جئت ثانية يا وجه الدبور^(٤)؟ ولمَ قلت ذلك الكلام البذيء عن فرسي الشهباء؟

-لم اقل ذلك يا سيدي، لقد قلت إن فرس أحد الحرس عرجاء، وهي عرجاء بالفعل.

-الفرس وصاحبها من أملاكي. قال الوالي...

ثم التفت إلى من حوله وأردف باهتمام:

^٤ (الدبور: النحس.

- كم مقدار ذنبه يا بطانة الخير ؟

ردوا عليه بصوت واحد قائلين: ثمانون جلدة فقط.

عند ذلك أخذَه الجلاد وعراه من ظهره، والشيخ حيدر يصيح بقهر:

- لست زانياً.. لست زانياً حتى تجلدونني ثمانين جلدة . قال الوالي ساخراً والجلاد قد بدأ يياشر جلده:

- العين تزني واليد تزني والفم يزني، وأنت قد عبت فرسي، وهذا هو الزنا..

وبعد أن أخذ الشيخ حيدر قسطه من الجلد أمر الوالي بطرده من المجلس.. في تلك الأثناء أقبل مأمور السجن وبين يديه شخص مكبل بقيد قديم صدئت أطرافه، وهو يتعثر بخطواته قال بصوت خافض غامزاً:

-يا مولانا. هذا من المطلوبين للإعدام اليوم..

صرخ الرجل وهو يجره في قيده قائلاً:

- أنا متهم بالسرقة، فكيف تعدمونني؟

حين ذلك نظر الحاضرون إلى القاضي الذي
شعر بأن دوره قد حان في الكلام فقال:

- يا مولانا الوالي إن ملف هذا الرجل يقول أنه
سرق كيس حبوب أيام القحط واسمه سعدان محمد.

غضب الوالي إذ لا يسره أن ينجو الرجل بهذه
السهولة وقد عقد النية على قتله وكلف نفسه كثيراً
حتى ألصق به التهمة وحبكها جيداً بحيث لا يرتاب
أحد فيها مطلقاً.. و تجهم وجهه وهو يخاطب المأمور
قائلاً:

- أين القاتل إذن أيها المخبول؟

- هو بالسجن يا مولاي، والغلط لأن الأسماء
متشابهة.

- لا عليك من ذلك، فقد أتى به الله إلى أجله،
والسرقة في القحط كالقتل، وقد أساء إليّ وأهان
عاملي.

أغمض القاضي عينيه أما الآخرون فقد حملقوا
 أعينهم إلى السيف الذي شرع بتنفيذ المهمة الموكلة
 إليه وأصبح لهم الموقف أكثر إثارة مما سبق، وأخذوا
 يتخافتون بحذر قائلين:

- الوالي لا يرجع عن قراره.. لقد خرج الرجل
 ولا يجب أن يعود.. ما قتله إلا لسانه المسيء..

بعد برهات عديدة انطلقت إلى مسامعهم ضوضاء
 غريبة من أماكن شتى في زوايا المجلس وكأنها حفلة
 زفاف غربية راقصة أو مقطوعة صاخبة من أغاني
 الباليه الإيطالية..

لم يدرك أي منهم لغة المتحدثين من الجدران،
 وظل الناس يدخلون مظلومين ويخرجون كذلك، وأثناء
 العودة دار بينهم نقاش عجيب.

قال أحدهم: هل سمعتم تلك الأصوات المزعجة؟
 ويجيب آخر: إنهم جنود الوالي من الجن، فقد جندهم
 في خدمته..

وثالث يتهم قائلًا: يقولون أن بين عينيه شعرة

الياهووت، لذا تخافه الجن والإنس!!

ورابع يسخر: لم يبق له إلا بساط الريح ويصبح معه ملك سليمان..

وهكذا لم يشعر أصحاب المظالم بوعورة الطريق التي يعبرونها بأقدامهم إلى أن يصلوا إلى قراهم المتناثرة بين الجبال، وذلك بفعل طرفة الحديث الخارق للعادات..

وذات يوم سمعوا صوت البورزان^(٥) الذي يسمعون نعيقه الصارخ يأتي غالباً من أعالي الجبال ويعم أرجاء البلاد المتزامية أطرافها وعادة ما يحدث هذا النداء عند وجود أمر طارئ أو حرب.. ذهب أعيان الناس إلى الوالي، ووقفوا بباب قصره منتظرين ظهوره عليهم ليروا ما حدث... ظهر الوالي من قمة قصره، وفي يده عصاه الشهيرة (الخيزرانة) وأخذ يلوح لهم بها فارتعد الناس لرؤيته وصاروا يكلمون بعضهم هامسين: "الياهووت... اسمعوا الياهووت"..

(٥) البورزان: بوق ذو صوت مزعج يُنفخ به.

فصاح بأعلى صوته قائلاً لهم:

-أيها الناس.. (الجن فالتين)^(٦) وقد خرجوا عن طاعتي، فعليكم بالسليط الحارق بللوا به رؤوسكم.. حينها انبرى أحد الناس صائحاً:

-يا مولانا الوالي إن لم ينفع السليط ودخل الجن إلى رؤوسنا فماذا نفعل؟

-عودوا إليّ حتى أقتلهم في رؤوسكم بحد السيف.. والآن رافقتكم السلامة.

قال الوالي عبارته وتوارى للتو مخلفاً للناس فراغاً متفعماً بالذهول والحيرة.. وفي اليوم ذاته انتشرت غيمه سوداء مبشرة بالمطر وهبت رياح الصيف وشكلت زوبعة حلزونية من الأتربة والغبار دارت مرتفعة صوب الأعلى فهرب الناس مذعورين ، وازدحموا على المعاصر الكاسدة البيع، فارتفع ثمن السليط الحارق ارتفاعاً مذهلاً.. رغم ذلك طلى أغلب

(٦) الجن فالتين: أي منتشرين، هاربين.

الناس رؤوسهم به خلا بعض الشباب الذين عادوا من
خلف البحر، وكذلك القليل ممن لم يسعفهم حالهم
المتعسر على دفع ثمنه... حيث ظلوا خائفين من جن
الوالي لفترة طويلة.. حتى مات الوالي متأثراً بجراحه،
علموا حين ذلك بأنها كانت دعاية أراد بها الوالي
إضحاكهم فضحكوا حتى وقعوا على ظهورهم..

٢٠٠٢م



روميوبريدنا

منذ رأيت ابنة جارنا بعد غيبة طويلة أحببتها
 للتو، كانت تراني أحياناً حين أعود من كلية الآداب،
 فتقوم بتدليل قطها الأبقش اللون وتشير له إليّ من
 النافذة وتغمغم بكلمات لا أفهمها، وهكذا تتكرر
 المواقف المشابهة يومياً. عينا القط تكشف عن ألفة
 ومحبة كعينيّ صاحبه وهو يرنو إليّ ويحرك رأسه
 المكور الشكل باستكانه.. لقد أنهت لميس بنت جارنا
 دراستها في المدرسة وصارت قعيدة في المنزل تتسلى
 بقطها الصغير ومذباها الذي لا يكاد يفارقها إلا عند
 استلقائها على الفراش في ثلث الليل الأول.

غرفتي قريبة من مطبخ جارنا لذا أصبحت مدمناً
 على سماع برنامج "أرقام وأنغام" حال عودتي من كلية
 الآداب في الظهرية . كان القط الأبقش يرتاد منزلنا
 قافراً من شرفة منزل جارنا إلى شرفتنا القريبة.

وعندما أراه مقبلاً أتأوله من الأرض وأمرغ كفي بفرو ظهره وأشدّه إلى صدري برفق محاكياً لميساً في ذلك. لكنه يتملص من يدي بصعوبة ويهرول خارجاً من غرفتي ليعود إلى حضن لميس. كثيراً ما كنت أسترق قطعة لحم نيئة وألقيها له فيأكلها في الشرفة. لذا صار القط ليناً مرناً ولم يعد يتملص من يدي حتى أتركه بمحض إرادتي ليذهب إلى منزل جارنا بالحال.. كان أبي يمقت القط بشدة وينهرها كلما رآها في المنزل، ويوم شاهد القط الأبقش بجانبني في الصالة أراد طرده لكنني شفعت له ، في حين قال أبي بثورة:

- ليس في منزلنا فئران حتى نقوم بتجنيد القطط لاقتراسها.

فقلت له بصوت لين:

- هذا القط جميل ونظيف وهو خاص بجارنا الدكتور أبو العز.

عند ذلك هدأ غضب أبي ولكنه قال مستفسراً
بتشكك:

- ماهو سر اهتمامك بقط جارنا أبو العز وأنت توافقني على كراهية القطط ؟

-إنه نادر يا أبي ولن يلحق بنا أي أذى وقد أحببته بمجرد رؤيته للطافة شكله. أجبت..

في تلك البرهة جاءت أمي حديثاً من المطبخ وقالت لأبي مستنكرة:

- اللحم قليل على غير العادة في الأيام الأخيرة. وأظنك يا كامل هجرت جزار الحارة..

من محاسن الصدق أنه قال مجيباً:

-اليوم فقط ابتعت اللحم من جزار آخر في الشارع القريب ، ولعله أنقص الوزن.

بعدها قطعت عطية القط ولم أعد أمنحه قطعته اليومية، فكان يمكث، عندي يمرغ رأسه بساقي ويهز ذيله بتوسل ولكن بلا جدوى يعود إلى بيت جارنا حزينا غاضبا. وفي يوم تأخر القط عن موعد إيابه إلى منزل أبو العز وكنت قد ألهيته بشريحة لحم كبيرة شريتها من جزار الحارة. عند ذلك تناهى إلى مسمعي

صوت رقيق ينادي من الشرفة قائلاً: روميو روميو.
هرول القط مخلفاً نصف الشريحة على الأرض وقفز
إلى شرفة جارنا أبو العز. أطلت من باب شرفتنا
فرأيت لميساً حاضنة للقط.

عاد القط في اليوم التالي في موعده المحدد
فألصقت في ذيله ورقة بواسطة ربله مطاطية كتبت
عليها: "أحبك يا لميس وروميو بريدنا". لما قفز القط
إلى الشرفة الأخرى ندمت وقلت لنفسي: "لو وجد
روميو قطاً آخر لتصارع معه ومن ثم تسقط الورقة
من ذيله وينكشف الأمر". في صباح اليوم الثالث ذهبت
إلى كلية الآداب وكانت محاضرة إضافية هامة لذا
عدت إلى المنزل متأخراً على غير العادة. لأول مرة
أرى القط قرب أبي واللاصق خالياً من الورقة،
فارتبكت ارتباكاً واضحاً فقال لي أبي متهماً وأنا
أحاول أن أنسل إلى غرفتي:

- عرفت الآن سر حبك للقط الأبقش ولن أبخل
عليك بصاحبة القط لهذا السبب.

وقذف أبي ورقة مكتوب عليها: "لن أدع القط

يعود إليك ثانية وسوف أبعثه لجدتي في القرية لتعتني
به وكاد أبي أن يخطف الورقة من ذيل روميو لولا
هروبه وأنا أشعر بما تشعر به فاهتم بدراستك أولاً .
صاحبة القط .

٢٠٠٣م



في انتظار الصباح

الإهداء: إلى عارف شمس الدين

لون عينيها يشبه اصفرار وجهه المتهالك.. طه
 شاب الـ(٢٢) عاماً من عمره أصابته اللوعة مذ كان
 صغيراً يحثو التراب على رأس بلقيس شريكة
 طفولته، فترد بالمثل ثم يغرقان في خصام أول الصباح
 وحين يأتي النهار يصلح ما فسد بينهما فيعودان إلى
 اللعب والجري ثانية. نما هذا الاتصال إلى أن بلغا سنّاً
 لا تسمح فيه أعراف قرية الشعاور باللقاء بين
 الجنسين... هناك ثمة خرق سري يحدث في هذه
 الحالة أحياناً.. لقاء عابر أو رسالة غرام أو رسالة
 كلامية مع رسول أمين.. بعض هذا لم يكن بمنأى عن
 حياة طه وبلقيس الجديدة.. المنزلان ملتصقان تماماً،
 غير أن خطوطاً شائكة مطعمة بمسامير صلبة حادة

مدقوقة على أوتاد خشبية قوية فاصلة في منطقة الالتصاق.. بعد أن تهجع عيون النيام كان ميعاد لقائهما في الحدود مساء كل يوم اثنين وجمعة، فيتناحيان من خلف الشائك ولا يتمكن أي منهما من النفاذ إلى الآخر لمانعته وارتفاعه.. كانا يريان بعضهما في الليالي المقمرة، وفي الليالي السود يلمس كل منهما كف الآخر ويكتفیان بذلك إلى أن يفصل بينهما الوقت المعلوم، ومن ثم يتفرقان كالأسهم متعاكسة الإتجاه، ويذهبان بحزن.

مرت ثلاثة أشهر وهم على هذا المنوال إلى أن اتسعت فجوة واحدة على الشائك طالما شدتها أكفهم بقوة عند اغتلاء الشوق وانفعال العاطفة المحبوسة وراء الحدود..

في أول يوم اثنين من الشهر الرابع تمكن طه من إدخال رأسه بصعوبة من تلك الفجوة المتسعة المقابلة لبلقيس، وجذب رأسها بيده اليسرى، وعبر عن مكانتها لديه، فأضاء زيت الظلام، وارتعدت بفعلها أشلاء بلقيس الخائفة فسارعت إلى القول بحزن:

-لم فعلت ذلك يا طه؟

- القبله الأولى يا حبيبتى لا تضر، ولن أعود إلى

ذلك أبداً..

ترقرقت الدموع من عينيها فجأة، ولم يكد طه
يلمس ذلك إلا حين أحس بشيء حار يصرخ ساعده
المتحفر لرأس بلقيس فأردف قائلاً بعبارات مشدودة:

- ما يبكيك يا صغيرتي؟

.....

في الوقت المعلوم انصرفا كالعادة، والحاسة
السادسة تشغل فكر بلقيس، والضيق يدك أحراش صدر
طه، لكنه لم يعر الأمر نصف اهتمامه، وآب إلى
فراشه مثخناً بالأمل والخوف في آن واحد.

في مساء الجمعة لم تأت بلقيس وطال انتظاره
حتى جاء الوقت المعلوم للانصراف، ونام على السطح
قرب الشاتك إلى الصباح، ولم توقظه إلا حرارة
الشمس وصوت أبو بلقيس المتعالي وهو يصرخ قائلاً:

- إلى أين هربت الطائشة؟.. من يدلني على مكانها؟

..... -

نزل طه من السطح مندهشاً لما حدث، فسمع إحدى الجارات تقول لجارتها إلى الشرفة القريبة:
- الوغد الثري شعيب كان البارحة في منزل أبو بلقيس ولعله خطفها..

عند ذلك قال طه لروحه بأسى:

- وافق أبوها فهربت، وأنا من يعرف مكانها، وسأعيدها إلى أبيها بشرط واحد يعرفه الجميع..

م ٢٠٠٣

يوميات يزن وتعلم المرأة

الإهداء: إلى حيدر العزي

قد يجد المرء نفسه أمام قلبه مكتفياً ورافعاً رأيته البيضاء، فهاهو يزن يقضي عطلة الصيف في البادية للمرة الأولى منذ أن قرر أبوه الإقامة في المدينة، كان يومها طفلاً في ربيع الرابع. كم أعجبه منزل خاله القديم بالرغم من تواضعه وضيق نوافذه والذي أدهشه أكثر هو زخارف الجص العجيبة التي تتسم بها الجدران من الداخل.

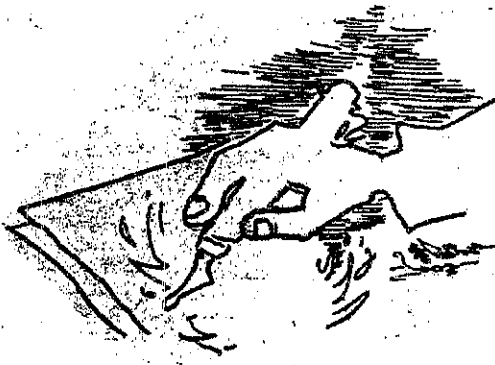
كانت ليالي السمر حقلاً غنياً بالحكايات والأساطير الشعبية التي تترخز بها البيئة القروية القديمة، وبنشوة بالغة يلتقط ما يصل إلى أذنيه منها ويكتنزها في مخيلته المتعطشة للماضي. وبدوره يبادل خاله وأبناء خاله الحديث عن ضوضاء المدينة وزحامها وثورتها العمرانية ثم يتحوصل حديثه في حارة (الرقاص) التي يسكن فيها

ويسرد أخبار جيرانهم المشاكسين والطيبين كذلك.. وبحياء
وخفر بالعين تقربت سعاد من مجلس السمر إلى أن
انخرطت فيه بحذر وجلست في إحدى زواياه بعيداً عن
السمار؛ ومن حين إلى آخر تختلس عيناها نظرات خاطفة
إلى وجه يزن وتبتسم كلما تفوه بدعابة أو موقف ظريف..
هي نظرة تلجية واحدة التي انفلتت من عينيه لتقع على
وجهها وترتد سريعاً دونما أي تأثير أو مغزى... فبالرغم
من أنه مراهق وطفولته السابقة لم تفارق طفولتها إلا أنه
حتى تلك اللحظة لم يكن يعرف أنها تلك الطفلة سعاد التي
ياما لعب معها وياما تخاصما وياما تصالحا في يوم من
الأيام حتى نادتها امرأة خاله: يا سعاد هلمي لمساعدة
أختيك في غسل أواني المطبخ.. ومع أن العطلة قصيرة إذ
لا تتعدى الأسبوعين إلا أن الجميع اعتادوا على يزن حتى
سعاد إلا أن هناك ثغرة واسعة في تصرفاته ظلت كحجر
عثرة في طريق سعاد العاطفية التي تمر بها حافية القدمين
مكشوفة الرأس. لامبالاة، نظرات باردة، تصرفات طبيعية
وكلام في مواضع لا تمت إلى الروح أو القلب بصلة،
وهذه كلها يوميات يزن.

احترقت الفتاة من الداخل وظننت أنها فاقدة للجذب

الأنثوي أو أنها لا تمتلك أي أسلوب لإيقاع قلب ابن عمها يزن.. ذهبت إلى المرأة المعلقة عرض حائط غرفتها وأخذت تسرح شغلها وتراقب تلك الدمعة الحارة التي تدحرجت غصياً من عيناها اليمنى تاركة وراءها خيطاً أسود من رذاذ على وجنتها المتوردة، فهمست بصوت مكتوم: ما هو الذي لم يعجب يزنأ في؟ إذن سوف أردي فستان العيد الأزرق.. وتلملت المرأة بين يدي سعاد فشوهت صورتها الجميلة بعينها في الظهيرة.. لكن فستان العيد في آخر ليلة سمر أدهش روح المرأة وسلب عيني السامر.

٢٠٠٢م



آخر ثانية من عمره

الإهداء: إلى أحمد علي عامر

تترصد عيناه غلبة سجائره بکراهية وما زالت
 أمامه على التريزة.. أدرك خطرها على صدره
 المعلول، الطبيب نصحه في أول الأسبوع وتمادى في
 نصحه حتى فقد سيطرته وخرج عن أخلاق الأطباء
 وبعثر على رأسه بضع الشتائم قبل أن يقول له
 مزجراً:

- لو شققنا صدرك يا عبد الحليم لوجدنا رنتيك قد
 تحولنا إلى قطعتي تنباك من النوع الجيد...

لم ينكر عبد الحليم ذلك وإنما استجدى مزيداً من
 الخوف المصطنع ليضيفه إلى خوفاً الطبيعي على
 صحته المنهارة..

كان خوفه الأشد من كف الطبيب الذي أنقذه في آخر لحظة من هاوية الموت، فقد كانت متحفزة للارتطام بوجهه.. لذا صار كالهر المعاق القابع قريباً مأدية رب البيت الغاضب من أولاده وزوجه.. ولم يزل يهز رأسه بتسليم إلى أن فارقه الطبيب.. ها هو في اليوم الثالث لإقلاعه الصعب عن التنخين.. بيد أن علبة السجائر مازالت متربعة بحزن على التربييزة ومنتفخة البطن تقريباً.. وما زال هو ينظر إليها كالحبيبة الخائنة التي توجب عليه هجرها وما هو على مضماره لم يتحول إليها قيد أنملة.. أخذ المجلة وراح يتناول صفحاتها صفحة صفحة محاولاً محق رغبته الملحة في سيجارة واحدة فقط.. ولكنه أقفلها بسرعة ورماها من النافذة المفتوحة حين لمح نفس علبة سجائره في صفحة الإعلان وشعر كأنها قفزت من على التربييزة إلى جوف مجلته المحببة فقال بإعياض: الأطباء تمنع التنخين ، وهذا يروج ، وذلك يعلن ، يا لهم من أوغاد! الجو مليح والنافذة تسرب نسمات نشيطة هادئة ناهيك عن خلو غرفته من الأطباء.. كل

شيء حوله مشجع على إشعال لفاقة وحيدة من العلبة.. في السابق أشفق أن يرمي علبة السجائر الأصلية الموضوعية على الترييزة كما رمى مجلته التي تحمل العلبة المصورة في صفحة الإعلان.

بعد برهة أتاه شذا سيجارة محترقة في الخارج، فحدس من نكهة الشذا أن جاره سعدان هو صاحب الدخان.. فصب عليه لعناته لأنه من جعله محترقاً في إيمان التدخين بسخاء مفرط وتذكر يوم التقيا في الكورنيش وقال له أن السيجارة تجعله يسبح في المتعة والنشوة..

أخذ يلغظ بالسباب ساخطاً على سعدان صاحب هذه الفكرة وأشعل لفاقة ونقل العلبة إلى مقربة منه وأغمض عينيه ليرى ما سيتمخض عنه الأمر بعد التدخين.. لم يمُت بعد أن عبَّ السيجارة كما كان يعتقد وقال لنفسه بحزم: لفاقة واحدة كل يوم لن تصيب رئتني بسوء..

الطفولة تعني له الكثير، فكان يغافل أباه في المساء ويشفط دخان السيجارة بتعجل في جوف الحمام

أو فوق السطوح ثم يتمضمض ويلوك علكة ذات نكهة حلوة ليطرد بذلك آثار الدخان... بلا شعور منه جعل يضاعف اللفافات وما حفزه على الزيادة هو أنها لا تؤلمه عقب التدخين.. وهكذا تراجمت الأعقاب على نفاضة السجائر حتى آلمه صدره أخيراً وانتقل إلى الوحدة الصحية.. هناك شدد عليه الأطباء الرقابة في غرفة المعاينة والتشخيص ولكنه في حمام الوحدة الصحية نفث آخر ثانية من عمره مع أول زفرة ممتزجة بهواء اللفافة.

٢٠٠٣ م

جفاء

إلى الصديق: جبر سيدم

تحت سقف السماء زحرت الفراغات بضجيج
الرعود القاصفة.. وكعادتها تخفق قلوب السكان
وتترقق عصافير أرواحهم بفرح وأمل.. الجو ملبد
بردم من الغيوم والضباب، لكن أهالي هذه البقعة
المنزوية في ركن من الجبل ألفوا هذا الحال.. هي
هكذا السماء تعتكر ثم تصفو كل يوم منذ أول الصيف،
ولا يتغير شيء، تلفظ الأفواه هذه الكلمات عند هروب
السحب وانحسار الغيم، فيستغفرون الله بالسن واجفة،
ويبحثون عن سبب جفاء السماء لهم بينما تشن مطراً
غدقاً على من حولهم، لكنهم لا يصلون إلى شيء من
البحث الممض.

في هذا اليوم جن جنون الرعود والبروق حتى

ارتعب السكان، غير أن صنابير السماء لم تتفك، وعادت صافية، كما كانت، وبدت كالماء الأجاج بعد برهات.. هذه المرة خرج الكل يستسقون، الأطفال، الكهول، الشباب، ذكوراً وإناثاً حتى العصاة والسكارى ولسان حالهم يقول: ارحم يا الله هذه الحيوانات البريئة وهؤلاء الأطفال.. وقفوا في أعلى قمة الجبل يبتهلون على موضع أقامه أجدادهم كمصلى للاستسقاء في القحط، وكان باعتقادهم أن ذلك المكان أقرب إلى السماء من غيره بحكم ارتفاعه، ومن ثم يصل الدعاء سريعاً إلى الله. كل شيء يثير الشفقة، ثغاء الأغنام، خوار الأبقار، عواء الكلاب التي لم تعد ترى كسرة الخبز المتعفنة.. الأرض صادية، مجدية، ومياه الشرب بدأت تتضب، وبهذا صارت مسببات ومقومات الحياة على وشك الانقراض في قرية السفح، حتى العقبان أخذت تنزح من الشعاب الجبلية، وتراءت بعض الضباع وهي تجر جر صغارها وراءها، وتزنو بحزن إلى جحورها قبل أن تمضي إلى جهة غير معروفة.. كان صرير الريح العنيف والزمهرير الشديد يقتلان ما

بقي من أمل في نفوس بعض الشيوخ العارفين بمعالم
الفصول المطيرة..

في وسط الأسبوع صعد السكان كالعادة إلى قمة
الجبل وتركوا مواشيهم تسرح هناك تلحق الحصى
والتراب وتأكل ما عثرت عليه من أعقاب الأشجار
اليابسة، في حين انبروا يضرعون إلى الله،
ويشخصون إلى جهات السماء الأربع.. وبينما هم
كذلك إذ جاء رجل يمشي على عجل من أقصى الجبل،
وما إن دنا وعرفوه حتى غمغم أحد السكان قائلاً
بغضب:

- هذا الأحمق الخارج عن القبيلة، وهو من باع
ابنته بعشرين بقشة وجلب العار لأبناء عمومته،
فخاصموه ونذوه وطرده من القرية..
وينبري آخر قائلاً بحسرة:

- كان الحاج منتصراً أتمونجاً للوجاهة، لكن
المثحوس صاهر ابن خاتم القبيلة، وبدل أن يذبحها
كالنعجة لأنها عشقته وهربت معه إلى المغارة، زف

ابنته مريم إلى المدعو سعيد ولو كان قتلها لَمَّا العار
عن القبيلة كلها..

ارتسمت بسمات خبيثة على شفاء البعض، وهم
يزرون الحاج منتصر واقفاً يتصفحهم بعد أن حياهم
بلطف، لكنهم تغامزوا عليه، فمسح لحيته البيضاء
عنوة، موحياً إلى شيبته ووقاره.. وآملاً أن ينهرهم
ذلك عن التشدق عليه، لكن أحدهم عاجله قائلاً:

- أتدرون أن الحاج منتصر صهير الخادم هو
سبب هذا القحط، وقد جاء ليرى عاقبة فعلته السوداء،
ويندبنا ويندب نفسه، ويطمع أن نعيده إلى القرية؟

لم يكلف الحاج منتصر نفسه الرد على قول
الرجل أو الاكتراث بحقارة ألفاظه، وإنما خلع جيته
الصوفية وارتابها بالمقلوب، ثم ركب صهوة الصخرة
القرية منه، وجعل يصلي بخضوع.. تعرض له عند
صلاته نخبة من الصبيان بإيعاز من آبائهم، في حين
عارض قلة قليلة من الشيوخ هذا العمل.. وهكذا صار
الصبيان يترجمونه بالأحذية وهو قائم لا يلتفت إلى
أحد، ولم ينصرف عن صلاته رغم ظهور الندبات

على وجهه بفعل أعقاب النعال القاسية، كما لم يتبرم
بعد أن فرغ من الصلاة، بل راح يرمي شاله البالي
صوب السماء ويرتجز بقوله:

يا رب السفح اغفر للسفح، يا رب السفح ارحم
أطفال السفح، ومواشي السفح وحشرات السفح.. في
الرمية الثالثة هوى الشال على رأسه المكشوف ساحباً
معه السحب السود، فصارت تزحف من أماكن متفرقة
في السماء لتتعامد فوق هامة الحاج منتصر.. في تلك
الأثناء زجر الآباء الصغار، ووقفوا مندهشين، يرقبون
ما يجري.. جمدت السحب فوق رؤوسهم ولم تتحرك
أو تهتز، فأدرك الناس أن هناك ديناموهاً ينقصها
لتتحرك وتجد بالغيث، ومن ركن قصي من القمة لاح
شبحان يهرولان صوب الناس... وبعد لحظات مثلاً
أمامهم، الأول شاب مكسور الملامح، أشعث لكنه رغم
هذا مليح الوجه، متزن الحركة، وافر الهدوء، والآخر
فتاة تتأبط ذراعه رثة الثياب، نحيلة الجسد، رقيقة
الطبع، وجهها كوجه القمر، صاح شيخ القبيلة مدققاً
النظر فيهما:

- هذا الخادم بطلعته البسيطة، وهذه مريم ابنة
 الحاج منتصر، لقد حان الوقت لكي يعودوا إلى القرية..
 سارع الخادم ومريم ومشيا إلى الحاج منتصر
 الراكب ظهر الصخرة وانضما إليه، فعلا ما فعله أنفأ،
 فصدع الرعد والبرق لأمر رب السفح وترحزحت
 السماء وهمت بغزارة حتى كادت قرية السفح أن تغرق..

٢٠٠٣م



كوكب من لحم على مجرة فاخرة

ما أجمدني في هذا الشارع، وما أبرد أطرافي..
لعل للصباح الباكر علاقة بما يجري لي، أو ربما
للشئ الذي يصد دفء الشمس بخلد الحاف.. تهادت
الأشعة الآن، وبالتدريج راحت تقاوم برودة أصابعي
الملتحمة مباشرة بالهواء الطلق.. طفق الشارع يتحرك
ويستأنف نشاطه العالي ككل يوم.. وأنا أرمي قدمي
بتناقل كأني رجل يائس من كل شيء.. أنا فقط الذي
لازالت دورته الدموية جامدة نوعاً ما، كأني عامل
طافش من البرودة، وصقيع المعيشة..

جيبني خاوي من الأوراق النقدية المسالمة
والصامتة، وما تتزوي به غير أقراص مستديرة من
فئة الخمسة والعشرة، ومن دقيقة إلى أخرى تصنصن
خالقة إزعاجاً حولي وأرقاً لي ولغيري من عابري

الطريق.. تتعالى الصنينة كلما التحمت المناكب
وتجاذبت حواف الأجساد السائرة.. ما أشد حرجي بين
أناس عصريين، أنيقين في شارع تلفه وسامة البناءات
ونصاعة الديكورات..

كم هي رائعة لوحة الفلكس المرتفعة فوق عنقي
عماريتين. هي وحدها شارع يعلو رقاب المارة، والمحلات
التجارية كجسر لازوردي معلق... وثمة رجل فوق جواده
يلوح بكفه اليسرى وعلى ثغره إيتسامة محارب قديم، وبين
عينيه خيلاء طاووس ودهاء صقر.. أتمنى لو يأتي من
يطردني من هذا الشارع إلى أي مستقع حوله، لا فرق
لدي بالتأكيد.. حسب المكان مخصصاً أو مخصصاً
لهؤلاء النبلاء فقط، لكن إعتقادي في غير محله.. ما
أشهى كل شيء في نظري، ولو أن العجب يسيطر عليّ
أحياناً، وجزء من القرف يلاصقه أيضاً.. يجوز في هذا
الزمان أن تفيق ذات صباح لتجد نفسك بين كائنات
فضائية تراها وتطاردها كذلك، لكنها تتحصن فوق
رأسك.. وأسأل نفسي: هذه الأقراص المعدنية أين أرميها؟
أتصدق بها؟ لكن ليس في هذا الشارع سائل يتطوع

بأخذها .. ليس هنا غيري .. أنا لها وهي لي، فقد تنقلني كيلومترين على متن حافلة مكتظة أو أبلل بها حلقي ثلاث مرات بالشاي المنعنع في قهوة العزبة.. ومن ثم أكفي نفسي نفخات العم (مُكْرَد) وكلامه المسموم، وجملته المأثورة ((لا للدين وكلمة بعدين)) وقوله: ((كل رجل يساوي ما في جيبه)). وبناءً على هذا القول فإن هذا الشارح يساوي ما في جيوبه من أجزاء، وأنا أساوي ما أذخره في الجيب، أي أنا بضع عملات صغيرة، وبضع قصاصات ورق فارغة وأخرى معبأة بأرقام ديون الغير.. أحسد هذا الرجل العريض، والذي تدلت شحوم رقبتة تحت ذقنه، وتجلت محدبة للأسفل كمؤخرة الإبريق.. لا أحسد فيه تخمته التي أحالته إلى كوكب من لحم، بل أحسده على سيارته الفاخرة التي تبدو كمجرة مضيئة.. بالحرارة المنبعثة من راحتيه، وهو يقرب رزمة نقدية من فتة الألف، ما أجمل وقت هذا الدب المسترخي على مقعد القيادة!! هذا الكرسي المرتفع ربما كان لديناصور في العصر الكمبري.. أو لعله ابتلع منطاداً فأخذت بطنه شكل هذا المنطاد.. أكاد أحترق وليس من سبيل غير أن أبتعد

إلى شارع آخر، لأن الجحيم على ما يبدو في هيكل هذا
الرجل أو في جسم سيارته.. هأنذا أبتعد بضعة أمتار،
وأشعر بدفء، ثم أشعر ببرد كلما ابتعدت أكثر عن ذلك
الرجل وسيارته.

٢٠٠٣م



هنادي.. مملكتي الضائعة

أخذت الشمس تبذر حرها على الرؤوس
والكواهل، وبدأت الريح تصدر صريراً عالياً، وتعصر
أثواب العابرين.

في ذلك الحين وصلت إلى القرية على ظهر
سيارة مكشوفة تبدو كالنسر المعقوف الجائع، وعندما
ارتسمت نظراتي على قرينتنا عن كثب شعرت بوحشة
مفجعة، يا له من مزار غريب! كل شيء شاحب حتى
وجه السماء، أرواح تغور أسفل الثرى، أنفاس تتماهى
أعماق السحب، ما كنت أظن أن ألق كل هذا ولاسيما
في هذا اليوم الذي تمنيته طويلاً لأنني سأجد نفسي
أغازل جسد حبيبتني وأراها وتراني عن قرب.

كنت أخاطب نفسي بثقة عمياء قائلاً: ريثما أهبط
من السيارة وبمجرد أن أمتص جرعة هواء من القرية

تكون فتاتي قد نشقت رائحتي ومن ثم تناظرني قرب مصطبة الدار وتبتسم حال عبوري في غنج وتتواري للتو في خفر وفرح، لكن ما حدث شيء لا يصدق، لا بسمة ولا جسد يقبع قرب مصطبة الدار ولا بشير ولا نذير. ظننت أنني دلفت إلى قرية أخرى غير قرיתי، قرية مهجورة تقطنها الهوام والخيالات المرعبة وبقايا أجساد البيوت لكن هأنذا أرى منزلنا وأمي تعرش على سطحه باسمه بأسطة ذراعيها للعناق. كان أول ما نطقت به هو سؤال وحيد عن هنادي مملكتي التي تركت عرشها خالياً ورحلت لكي أعد نفسي لأكون ملكها المختار!! هل تعلمون ماذا قالت أومي؟.. لا لا.. لا يا أعزائي دعوني أكنم القول لأني لا أود أن تلتمسون من عنائي وهمومي وما دمتم تصرون أن أبوح لكم.. حسناً سوف أبوح وليغفر لي الله.. قالت أومي في صوت يطفح حزناً: لا تسلم عنها بعد الآن يا ولدي، إنها ريفية لها عقل مهمش استعارته من كلبتهم العقور.. نعم يا بشير، هنادي تلك التي أهرقت ماء وجهك من أجلها وعرفتھا الفضيلة والنزاهة والبراءة

اتخذت من دونك ريباً آخر وقد مضى على حفلتها
يومان لكنها الآن وقعت في شر عملها وصارت
ندمانه.. لذا لم تعد تظهر على إنس أو جان وهذه هي
الحكاية. ماذا تتوقعون أن يبدر مني في تلك اللحظة؟
لا شيء فالأمر أكبر من أن أحزن أو أصرخ أو
أنهار.. اصطدمت ولكن الصدمة وقعت على الركن
المتضعض في عقلي، فأقامته وعززت من قوته. هل
تصدقون ذلك؟ وكنت أتصور أنني سألفظ روعي قبل
أن أخطو خطوة واحدة أمام أمي.. لكنني حمدت الله
على سلامتي وهأنذا أخاطبكم وأنا مستريح الخاطر
منسجم الحال، وأضع كلماتي هذه وأنا أرى هنادي
لأول مرة بعد أن عزفت عن عزلتها وهروبها.. أراها
بأم عيني كالناقة الهزيلة التي أفنت عمرها كادحة في
إحدى معاصر زيت الجبل، ومسها الجوع والتعب
فغدت غير صالحة لشيء. فنحأها مولأها جانب
المعصرة.. وجاء بغيرها، وكانت من قبل فراشة تحلق
دون توقف.

أميرة أسماك الزينة

ارتجاج القارب تحت قدميه السميكتين يذكره
بهندول طفولته.. ربط القارب بوترد أعد أنفاً على مرفأ
مغطى بفضلات البحر.. صدف بحرية، شعب
مرجانية، وبقايا أحجار بردها المد والجزر فصارت
ملساء تتخللها مسامات تبدو كحب الشباب في عارض
العذراء العانس، نخلة قريبة من قاربه تبدو كشبح
عجوز ركيكة العظام يابسة الجلد.. إنها في مثل وحدته
تشاطره الوقوف على المرفأ والنظر إلى مرآة البحر
الهائج.. هاله رؤية بومه منتصبه على غصن هرم في
النخلة تتأمل قاربه بلوعة الثكلي.. فك الحبل من الوتر
وأعماقه تتبرم صارخة: اليوم نذير شؤم والواقفة على
النخلة تقول أني لن أصطاد قوت العجوز.. تدرج
القارب بفعل مد طويل للموج جرفه بعيداً عن الشاطئ

وزاد المجداف القارب إسرَاعاً صوب بطن البحر.. تذكر أسطورة قديمة تحكي عن صياد رأى البومة وعلق في شبكته قمقام به مارِد عاص من مرده سليمان ولما أخرجه أراد المارد قتله لأنه أنقذه في الوقت الضائع.. الصباح ينذر بطقس داجن والغيوم المشبعة بالسواد شرعت تجثو فوق سماء القارب.. نفسه تحدثه أن يمد شباكه قبل أن تبكي السماء ومن ثم يميد به القارب منزلقاً بين ذراعي اللجج العاتية.. نشر شبكته ثم جذبها بكل قواه وإذا بها ترتفع بخفة لتقع بين يديه وفي قعرها سمكة عجيبة لم ير مثلاً قط طيلة عمله صياداً في البحر.. بدت بألوانها الثلاثة كعلم حي يتحرك في قلب القارب كما لو يرقص على إيقاعات الاحتضار الوشيك.. جلب الصياد وعاءً فارغاً وأدلاه إلى البحر واغترف به ماء وحط السمكة وشرع يجذب مقترباً من مرفأه والقطرات المتساقطة على رأسه تشد عزيمته على الفرار ولحيته الكثة تختزن بين أحرشها ما جاد به رأسه عليها من فائض المزن.. وصل إلى كوخه المعالج بسعف النخيل والأعجاف الخاوية بعد أن

ربط القارب بالوتد وغير ماء الوعاء للسمة ليلقيه أمام عجوزته بغرض الفرجة.. أخرجت العجوز لسانها وأخذ اللعاب يجود على شفثيها الحجريتين بهلام متكاثف.. وقالت وهي تذبح السمة بإرهاق نظرتها الخبيثة: هذه السمة لي وعليك الخروج ثانية إلى عرض البحر لاصطياد نصيبك.. صفق الصياد الشائب هازئاً وانطلق قائلاً: يا غولتي الحبيبة إنها لسلطان عدن، ففي قصره غرف زجاجية مملوءة بالماء بها أنواع زاهية من الأسماك.. صرخت: هيه.. السمة مية..و.. خطف الوعاء من أمامها مقهقهاً، على حين نضح فمها ألفاظاً وسخة على جسده.. أخذ يجذف بالمجداف إلى أن بلغ شاطئ المدينة حاملاً الوعاء.. بعد قليل دخل به إلى قصر السلطان آملاً الحصول على مكافأة حسنة.. امتنع وجه السلطان بدلائل الابتهاج عند رؤيته لتلك السمة الملونة وقال ويده تلعب بريش النعام في وسادته:

- هذه السمة بديعة حقاً وستكون أميرة أسماك

الغرف..

طرق أذنه صوت منجم القصر قائلاً بانزعاج:

- هذه أميرة الخراب والزوال يا سيدي السلطان
وذلك لأن المريخ يتأرجح في مدار النحاس الأكبر هذي
الأيام..

حار السلطان من كلام المنجم لكنه حسم الأمر
قائلاً للحراس مشيراً إلى الصياد:

- خذوه واربطوه قرب الغرف الزجاجية ليرى
سمكته الخبيثة وهي تسحق أسماك الزينة..

بعد أيام قلائل قتل السلطان والسمكة مازالت
تلعب في الغرف الزجاجية وحيدة..

لن أعود إليكم

تسلق الشجرة الهمدانية كالمنجاب الإفريقي، كان جسده النحيل بقوامه الضامر سلماً يرتقي عليه بسهولة، وكانت يمينه تتحرك كالمكنة وتكسر أغصانها الخضراء واليسرى تكوم العيدان عليها كالسيئات بنسق عجيب حتى اكتفى.. عندها هرع إلى الأسفل ضارباً بتوسلات الزبون عرض ساق الشجرة الخشن.. وتجمد أمام الرجل كالحجر الجيري إلى أن مد الأخير يده إلى جيبه بتقاعس وأخرج ورقتين خضراوين من النقود وألقى بهما في وجهه ومضى وهو يقول بغضب: لن أعود إليكم أبداً أيها...

لم يابه الفتى لكلامه اللاذع، بل رجع إلى أبيه بخطى طاووسية جريئة وناولته الورقتين قائلاً:
- أربعمائة ريال كاش ثمن المغرس..

-من أي حول قطفت القات؟

-من (السبّة) الكبيرة (الغرسة) البيضاء كانت من نصيب الصنعاني و...

-وا مصيبتاه.. لقد حذرتك مراراً أن لا تتدخل بالقات و..

وأنته سعدة طويلة وكلماته تتقطع فيها : أح.. أح أنت عاق والديك، أح.. أح القات مرشوش بالسّم الأحمر .. أح.. كنا سنبيعه في السوق وانتهى الأمر..

دخل الصنعاني المجلس وشراب الشعير في يده والقرطاس الأسود تحت إبطه وقعد في المكان المخصص له بهدوء.. الماء المقطر (الكوتر) أمامه والمبخرة تطرد الهواء الفاسد بأدخنتها الفواحة، وتدور على المقيلين كل نصف ساعة.. الغرفة معلقة بفضاء الطابق الخامس للدار العتيق ومما زاد المقيل أنساً ومتعة هو ذلك البستان اللائح من وراء زجاجات النوافذ الكبيرة للمجلس الصغير، ثمة نكهة غريبة تتذوقها غدد لسانه مع عصارة الأغصان التي يلوكها

بنهم ... ظن أنها جودة القات التي جعلت (الكيف) يعشعش في أعصابه ونخاعه الشوكي سريعاً.. لذا انزاح الندم بعيداً عن نفسه، إذ كان يحسب أن نقوده ذهب سدى.. كان المقييل سخياً على رواده فالمتسيسون والمهرجون هم الناطقون الرسميون نيابة عنه، لذا فالوقت حصان جامح يمرق كالبرق فوق رؤوسهم حاملاً مستقبلهم وأحلامهم إلى الظلام الفاجر فاه.. عند المغيب ألقى الصنعاني بأخر مشاريعه وآخر غصن قات بحوزته على الأرض إلى جانب الأكوام المتكومة هناك وودعهم وانصرف شاكراً.. احتضن الليل بكلتا يديه وأوسع زوجته ضرباً حين طلبت منه دفع فاتورة الكهرباء قبل أن يضاف إليها عبء فوائد التأخير، ففرت إلى بيت أهلها مع طفلها الرضيع ، لكنها عادت فوراً بعد أن وجدته الجيران في غرفته جثة هامدة..

الوردة في اليوم الرابع

في اليوم الأول بعد أن عادت من المدرسة اندهشت الفتاة حين رأت تلك الوردة الحمراء مثبتة على النافذة المقابلة لغرفة نومها، لم يكن هناك أي أثر أو دليل يؤدي إلى قيام شخص معين بعمل ذلك . تناست الأمر وبدأت الغرابة شيئاً فشيئاً تختفي من ملامحها الجامدة حتى غرقت في بحر النسيان، وفي اليوم الثاني استبدت بها انفعالاتها وهي تلمح وردتين متعاقبتين على نفس المكان والوردة الغربية ذات اللون الأبيض أثارت حيرتها أكثر وأكثر فماذا يعني لها هذا الاختلاف في الألوان فبرغم جمالها المفرط وأنوثتها الجذابة وقوامها المتميز إلا أنها لا تظن بأن هناك من يتجرأ على الإفصاح لها عن حبه، فهي لا تعترف بأي تجربة غرامية مهما كبر وزنها وارتفع عيارها، فلاشيء عندها اسمه الحب، وطالما كانت إحدى صديقاتها تسألها ممازحة: هل وجدت قيس أحلامك يا

ليلي؟ فتجيب عليها: لا أود رؤيته فهو مجنون حين يحب! لم تفكر بأنها سوف تحب شخصاً ما في يوم من الأيام، ولا تعتقد أن هناك شاباً سوف يحبها كذلك، فالحب في مخيلتها مجرد لعبة يتورط فيها الأشقياء من الجنسين، أما هذه المرة فالأمر يختلف عن سابقه، إذ يجب عليها أن تراجع حساباتها تماماً، فالوردة ساحرة وقد بدأت تدغدغ مشاعرها خاصة تلك الوردة البيضاء.. إنه شعور غريب ينهش أعماقها، ولكنه جميل ورائع فقالت لنفسها: ما أجمل الورود وما أعذب لغتها..

وأخذت تهمس: من وضع الوردتين؟ آه من يكون

الفاعل؟؟

ظلت تنتقل أفكارها وتجول بين أبناء الجار الثمانية وهي تقول في صوت شبه مسموع: لعله أحمد.. ثم تهز رأسها وتنفي ذلك قائلة: أحمد متزوج ولا أظن أنه يفعل.. ثم تقول: لاشك أنه علي فهو عازب.. لكن لا فهو عاقل وملتزم. استمرت تقلب ملفاتهم واحداً تلو الآخر وهي تعتقد بفلان ثم تنفي ذلك لأسباب هي تعرفها، وبينما هي تقلب ملف ذكريات كريم الابن السابع - قبل

الأخير - والذي يقاربها في السن، وتفتح الصفحة الأولى منه ولا تجد شيئاً ثم الثانية والثالثة والرابعة، توقفت عند الخامسة وأخذت تقرأ محتوياتها، فوجدته في أحد الأيام قبل بضعة شهور يصفح وجهها بعينيه على حين غرة من تلك النافذة، وأهداها بسمه مثيرة مازالت تذكر وزنها وعرضها وارتفاعها.. لقد ذكرتها الآن فهي كذلك الوردية البيضاء. ظلت تعيد ببطء صورة البسمه في مخيلتها منذ أن انفرجت بها شفتاه الجميلتان..

ساعتئذ لم تقدر على الإمساك بزمام أعصابها ، حيث صاحت بانفعال: إنه كريم صاحب الوردية البيضاء..

وفي اليوم الثالث أجبرها فضولها على مشاهدة الوردتين، فأرخت ستارة النافذة وألقت نظرة حذرة إلى الموضع المخصص للورود، ولكنها هذا اليوم لم تنظر سوى الوردية البيضاء فقط على النافذة المقابلة، ولاحظت أن وضعية الوردية قد تغيرت هذه المرة.. فبدل أن كانت مستقيمة إلى الأعلى أصبحت الآن متدلّية إلى الأسفل.. وكأنها خجلت من ليلي حين كشفت سر صاحبها، فكرت ملياً بهذه التغيرات الأخيرة التي طرأت على الوردية وهي

تُسأل ذاتها: ماذا يعني ذلك؟ صمتت وهي لا تدري بما تجيب على هذا اللغز الشائك، فتركته للمجهول البعيد.

في اليوم الرابع انطلقت إلى مدرستها المزدهمة بالفتيات وهي تشعر بأن الوقت يمر ببطء شديد، حتى المعلم الفرح الملامح الذي طالما كانت تستمتع بدروسه وتحب طريقة إلقائه للدرس بدا لها مملاً ، ولم تستوعب منه غير القليل من المعلومات التي اقتحمت رأسها عفو الصدفة..

التفتت إلى صديقتها متسائلة:

- كم الساعة الآن؟

- العاشرة والنصف.

- آه لم أعد أصدق ساعتني بالرغم أنها لا تكذب

عليّ البتة فهي مضبوطة تماماً..

-مالك يا ليلي قلقة وتائهة البال.. هل هناك ما

يشغلك؟

-أريد أن أعود إلى البيت لأرى الوردية.

استغربت صديقتها من طريقة كلامها غير
المألوفة، فهذه المرة الأولى التي تسمع ليلي تتكلم عن
الورد! فأخذت تقول في سرها: لعلها وجدت قيساً
الذي كانت لا تريد رؤيته وقطعت ليلي حبل أفكارها
حين قالت مستفسرة: ..

لو أنك رأيت ورده مقلوبة على نافذة قريبة منك
فماذا تفهمين من ذلك؟؟

- أعتقد بأنني إذا رأيتها لأول مرة فقد تكون
الصدفة، أما إذا رأيتها منتصبه من قبل ثم وجدتها بعد
ذلك قد انقلبت، فهذا يعني أشياء كثيرة ..

لم تكمل الأخيرة بقية حديثها ، فقد دق جرس العودة
منهاً ذلك الحوار فأسرعت الفتاة إلى المنزل وألقت
بحقيبتها على الطاولة ، وذهبت لرؤية الوردة البيضاء.
تأوهت في أسف حين وجدتها قد ذبلت وتساقطت معظم
أوراقها، فلم تنتظر حتى تنهابر الأوراق المتبقية للوردة
أمام عينيها بل أغلقت النافذة بتوتر ..

الورقة رقم خمسة وأربعين

الإهداء: إلى يهود اليمن الشرفاء

(١)

مدير قسم مكافحة تهريب الآثار بدا هادئاً وهو يتأمل إلى ذلك القابع في مكتبه. رجل طويل القامة ، نحيل الوجه ، خفيف اللحية ذو عينين زرقاوين وزنارين متدليين على عارضيه .. رمقه بنظرة لا تخلو من التفرس والتجسس على ما يخبئه له اليهودي من مكر وخداع ثم باغته بسؤاله :

- أسمك الكامل يا مائير؟؟

ذهل ذهولاً شديداً حين نطق باسمه قبل أن يجيب بتكاسل :

- مائير اسحاق شعيان

- عمرك؟؟

- سبعة وأربعون عاماً !!
- من أين جئت بهذه القطع والعملات القديمة؟؟
- اشتريتها من أحد أصدقائي .
- مائير !!
- ماذا يا سيدي ؟
- أصدقني القول قبل أن أنزع أظفارك ...
- هذه الحقيقة وكل ما عندي .
- منذ متى حصلت على هذه الآثار؟؟
- قبل أسبوعين تقريباً !!
- في الأسبوع الأول كنت في مدينة يريم ولم تكن هذه القطع بحوزتك بعد . أليس كذلك؟ بهت مائير وبلغ لعابه وقال بانهيار:
- لكن يا سيدي كيف ..
- قاطعته بصرامة قائلاً :
- الأسبوع الثاني اختفيت عن العيون لمدة يومين

فقط وظهرت في اليوم الثالث لتتجه إلى المحافظة
وبحوزتك هذه القطع ...

- أنا لم أغب كما اعتقدت يا ...

- مائير ... !! لا فائدة في الإنكار .

- كنت في قرية اليهود وهذه القطع هي نتاج
أجدادنا منذ خمسة قرون ...

- أجدادكم يا مائير برعوا في خصف النعال
وحياكة النسيج فقط .

- هذه الحقيقة وحق كلم الله ...

(٢)

أخرج كتاباً صغيراً رث الأوراق من درج مكتبه
ولوّح به في وجه مائير قائلاً ببرود :

- هذا الكتاب أليس حقيقياً؟؟

اصفر وجه مائير وبلا شعور أخذت يده تجس
جيب معطفه وقبل أن يتقوه بعبارة واحدة كان مدير

قسم التهريب يقول مبتسماً :

- بالطبع لم تجده في جيب معطفك ومن حسن
حظنا أنه سقط منك حين داهمتك رجال الشرطة.

- لقد نشل مني وأعتقد أنكم من فعل ذلك!!

- نعم نحن نشالون ولكننا ننشل النشالين من
أمثالك!!

- لقد صادرتم القطع الأثرية وهي الأهم!!

- لا ... لا يا مائير لا تكن طماعاً إلى هذا
الحد!!

- الكتاب حق شخصي ولا يحق لكم مصادرتة يا
سيدي.

- لا أنكر أن الكتاب ملك خاص بك لكن ما فيه
يخرج عن إطار ملكيتك.

- ماذا تقصد؟؟

- مائير!! أنت تفهم جيداً ما أعني فالأوراق من
نصيبك وما فيها من كتابة نصيبنا..

- الكتاب يتحدث عن الهيكل السليماني المقدس.

- امسك أعصابك يا مائير !!

(٣)

ضغط الضابط زراً أحمر على سطح مكتبه وبعد
برهة وجيزة من الوقت دلف أحد عناصر الشرطة إلى
المكتب بهدوء وبعد أن ألقى التحية على النقيب قال
بفخر قبل أن ينصرف:

- الفاكس الذي طلبته يا سيدي !!

خفق قلب مائير خفقة شديدة وسرت بمفاصله مياه
ساخنة لكنه ظن أنها خدعة يُراد بها دفعة للإدلاء
بالمزيد من المعلومات المتعلقة بالكتاب ذي الحروف
العبرية . كان الاهتمام ظاهراً على وجه الضابط وهو
ينتقل بين سطور ورقة الفاكس، وما إن تبددت
اهتماماته حتى انفجرت من شفثيه بسمة باهتة ليقول
بصوت مخيف:

- الآن نلعب بالمكتشف يا ماثير .
- أما زال هناك استجواب آخر يا سيدي؟
- إليك ترجمة إحدى الجمل المنتزعة من الكتاب
بعناية بالغة !!
- هات ما عندك من ترجمات وهمية .
- تجاهل عبارته المراوغة وشرع يرتجز بالسطر
الأول من الورقة قائلاً :
- مدينة شمر، قرية الكنوز، قرية اليهود، ثلاثة
أسماء لمكان واحد عتيق ...
- فتح ماثير فمه مندهشاً لكنه لملم أشنات كلماته
البائسة ليصرخ قائلاً:
- هذا افتراء ولا أدري من أين جئتم بهذه
الأسماء الزائفة والشاذة؟؟
- الفضل يعود لك يا ماثير فقد حسمت بغبائك
الموقف وأرحتنا من مشقة البحث ...
- كيف؟ أكاد أجن من هذه الطقوس الغامضة

التي تكتنف هذا المكتب ...

- هل تعرف الورقة رقم خمسة وأربعين
المؤشرة بالحبر الأحمر ؟

- غير صحيح .. أقصد لا أعلم !!

- لكم يروق لي الآن أن أختتم محضر التحقيق يا
مائير ...

بعد ذلك أخذ يصيح والشرطي يجرجره إلى
الحجز:

- أين حقوق الأقلية اليهودية ؟ ليس لنا من يمثلنا
في مجلس النواب .

٢٠٠٤م

صراع حتى الموت

الإهداء: إلى الرائع الأستاذ عبده محسن شمس الدين

القمرء قلعة صغيرة في مديرية القفر اندست
تحت جبل الباز الشاهق . حتى أن أشعة الشمس تتباطأ
في الوصول إليها كل صباح .. تلك المدرجات
الزراعية الشاسعة المحيطة بها يملكها أبو جدي الحاج
أحمد ، لذا لا غرابة في أن نكتسب هذه القلعة شهرة
ذائعة الصيت ، حيث تبقى محطة للجنة والسائلين .
فتشبه بيت النمل في فترة جنسي محصول البن ..
ويتبادى أبو جدي الإقطاعي وفوق رأسه عمامته
الخضراء المعروفة وعلى منكبيه يتربع شاله الرديف
الأبيض والتوزة تتحفر وسطه . ومائلة في يمينه كعادة
الأسياذ .. وأولاده الأربعة (شمس الدين ، زيد ،
محسن ، الجد محمد) يلوحون بجواره في أغلب

الأوقات . فيقومون بخدمته في خنوع وولاء تامين ..
كان لا يجرؤ أحد على مهاكته أو الدخول معه في
مغامرة دنيوية أو صراع .

فقد كان شريعياً حازقاً ومتكلماً فصيحاً كما قال
جدي ، أما الناس فقالوا عنه كلاماً كثيراً وعرفوه
بالرجل الذي كلمته أقوى من بطشه .. ویرغم هذا كان
ندى الكف . نصيراً للضعفاء ، وما تلك القسوة الخفيفة
المرتسمة بين عينيه إلا بصيص لا يذكر من خشونة
المكان المحيط به .. فالقلعة تقبع على رأس هضبة
صغيرة . معرزة من الخلف بشور قوي البناء ، له باب
واحد من خشب الطنب الأحمر .. ما من أمام القلعة
على حافة الهضبة فتتواجد سلسلة عظيمة من التين
المشوك .. وهذا كله جعل من القمراء تكتة حصينة
في تلك البقعة المسترسلة بين الحيود الصماء الفارعة
الطول . ورغم كل شيء تبدو مخيفة ومعزولة وبعيدة
عن الأرياف الأخرى .. لكن الماكث فيها ليلاً يشعر
بأمان الروح ووداعتها وهو يسمع نبضات الكلب
قرقيس المتعالية تشق عباب الليل . وتمنع كل شيء من

الاقتراب من سور القلعة حتى الطيور المحلقة في الجو نهاراً ، هذا الكلب الضخم الجثة الحاد الأنياب ظل أسطورة مريعة في حياة الناس بالمديرية ، وخصوصاً الأطفال .. وكان أبو جدي يحب قرقيس إلى درجة كبيرة ، وفي أحد الأيام وفد إلى القمراء شخص من وجهاء المنطقة ، وظل واقفاً على بعد كيلو متر واحد منها ونادى بصوت جاهر: يا سيد أحمد أحتاج إليك.

خرج أبو جدي حين سمع النداء فرأى الكلب واثباً على قدميه ، وأذناه عموديتان تماماً تتصنعتان على مصدر الصوت وقد بدأ يحن حنيئاً متقطعاً وهو يصوب نظراته الفاحصة إلى قارعة الطريق وكأنه ينتظر قرار سيده .. لم يلبث أبو جدي أن لوح للرجل بيده آذناً له بالاقتراب دون تردد أو وجل .. قفز الكلب كعادته وجعل يهز ذيله ويحرك رأسه بدلال ومرح وكأنه أراد بذلك طمأنة الرجل الذي كاد الذعر أن يقتله عندما أبصر قرقيس قادماً نحوه ..

ولما وصل إليه أخذ يمرغ رأسه بين قدميه الراجفين حتى شجع الرجل نفسه وسار خلف قرقيس

وقد خفت حدة خوفه ، وعندما التقاه انطلق يخبره عن الأمر الخطير الذي جاء من أجله قائلاً بصوت مضطرب :

- رأى الرعاة يوم أمس نمراً مخططاً يخرج من الشق الموجود بباطن الجبل . (وأشار بسبابته إلى ذلك الحيد المنتصب فوق القلعة والذي يفصله عنها منحدر طويل يسمى الخشعة) فأجاب أبو جدي على الرجل وهو يودعه:

- إذا كان نمراً فأنا مروّض النمر، كما أن جدي الهادي عاش في زمن النمر .

وعاد للتو إلى (المفرج) العلوي للقلعة وانتزع بندقية (السك) من الحائط وصعد إلى السطح المقضض وصوبها على فوهة الشق البعيد نسبياً عن القلعة . وضغط الزناد بهدوء فدوى صوت الانفجار القوي محدثاً صدى متكرراً على الجبال القريبة . اغتم النمر الذي كان في تلك اللحظة في سائلة جال . وذلك عندما سمع دوي عبوة البارود، ورأى بأم عينيه تلك الأدخنة تتصاعد من وكره المليء بالجلود وبقايا العظام .

نهارئذ فهم الشفرة المكتوبة بالنار جيداً وعرف
مصدرها الوحيد..

بدأ الصراع في أول دقيقة من منتصف الليل ..
حيث تسلل النمر إلى قرب مأوى غريمة لكي يجس
نبض القلعة المطوقة بسور عال وكذلك بعض الموانع
الطبيعية كالهضبة وأشجار التين.. لكنة اصطدم
بقرقيس الشرس الذي اعتقد أنه سيسقط ميتاً بمجرد أن
يراه .وبالرغم من أنه انذهل وانزعج قليلاً منه إلا أنه
— أي قرقيس — أخذ يزمجر ويتقدم بحذر صوب ذلك
الكائن الطويل المفتول السواعد والذي ظن أنه سوف
يحسم الموقف بضربة واحدة لا غير.. ودار عراك
عظيم بينهما والنمر يقول في سره: هذه الضربة
القاضية بل هذه، بل .. لكن بلا جدوى فما زال
يتدحرجان ويتقلبان فوق الكثبان وكلاهما ممسك
بالآخر بشدة.. وكأنهما كفتا ميزان ترتفع إحداهما
لتنخفض الأخرى .ثم ترتفع لتنخفض الأولى . وهكذا
استمات الكلب قرقيس وهو يدافع عن نفسه وزادت
ضراوته تدريجياً إلى أن تعب النمر وتمنى في تلك

البرهة لو تتدخل الظروف العابرة لتفصله عن قرقيس، فاستجابت البندقية المصوبة لندائه. وحققت له أمنيته، إذ أطلقت عددا من الأعيرة النارية في الهواء، منهية بذلك العراك الذي دام ساعة كاملة من الوقت.. وسرعان ما انسحب النمر وهو يوارى وجهه وراء غيظه وحنقه، وخجل من نفسه ومن وطاويط وحشرات الليل التي تضاحكت في تلك الليلة سخرية منه، وقرر من ساعته عدم المواجهة وأضمر الغدر والخديعة مهما لاقى من التوبيخ ومهما نعت بالألقاب الحقيرة التي لا تحب أن توصف بها الوحوش الكاسرة. لن يتراجع مهما يكن، المهم عنده الآن هو أن يقهر خصمه كما قهره، وفي ظهيرة اليوم الثاني استغفل النمر راعي أغنام أبو جدي. وقام بالفنك بكبشين كبيرين فصرخ الراعي بهلع، وسمع أبو جدي صرخته، وهو يتمشى في إحدى المدرجات القريبة وكان في تلك الأونة يلزم بندقيته، ولا يضعها إلا عند النوم.. وما إن رآه يعدو هاربا حتى عاجله بثلاث طلقات نارية أحس النمر بحرارتها تكوي أقدامه رغم سرعته الكبيرة. ولعل

خصمه لا يخطئه في المرة المقبلة، وهنا تكون الكارثة العويصة، ورغم هذا استمرت المحاولات ذات الأساليب الشتى والتي باء أغلبها بالفشل، وإن حققت بعضها نجاحاً ضئيلاً ملموساً للنمر، إلا أنها كانت لا تعني شيئاً بالنسبة إلى أبي جدي الذي ظل رابط الجأش مبتسماً كعادته .

اغتاظ النمر إلى درجة أنه عض كفه بأنيابه، فهو يود أن يرى عدوه منفِعلاً متألماً بفعل الخسارة التي ألحقها به .فكر بعمق وكز على أسنانه وهمس لنفسه لائماً:

- نعم .. نعم ، الخسارة ليست كافية .آه لو ظفرت به أو بأحد أبنائه لكنت شفيت غليلي منه ..أريده أن يبكي بحرقة أمام عيني.

اهتدى النمر أخيراً إلى فكرة خبيثة فراح يلعب ويتقافز فوق الصخور في سعادة بالغة .. وما زال منتظراً لليل يتلفه، وعند الساعة الحادية عشرة انطلق في طريق وعرة قاصية عن القلعة حتى أفضى به السير إلى أسفل الهضبة المكسوة بالثلثين، وهناك

استعان بخفته ولياقته الجسدية وتسلق الهضبة من
 أضعف أجزائها ، اختبأ بين أحراش التين الكثيفة
 وظل يراقب المكان جيدا ، كان الكلب يشم رائحته
 فيظل ينبج نباحا مزعجا طوال الليل حتى يكاد أن
 ينكلم.. إنه في هذه المرة لا ينظر إلى الأعلى كما جرت
 به العادة كل يوم .. بل يحملق إلى الداخل ، إلى عقر
 القلعة ولاسيما إلى الهضبة المملوءة بالتين المشوك ..
 ثم يهوي بشدة .. حسب أبو جدي أن الكلب يفعل ذلك
 بدافع الخوف أو بسبب مشاهدته لإحدى القطط أو
 الثعالب العابرة . فانتابه الغضب وأخرج رأسه من
 النافذة وصاح بنبرات تاهية : أصمت يا قرقيس، دعني
 أنم فأنا لا أسمع شيئا..

لكنه لا يكف عن النباح ويظل خارج السور في
 غاية ثورته ويظل يهبط ويصعد قرب إحدى أشجار
 التين وينبج حتى يتحشرج صوته ، إلى أن تمر ثلاث
 ليالٍ وهو على هذا الحال.

فقد أبو جدي صبره وعظم عليه عدم طاعة
 الكلب لأوامره و إصراره على مواصلة النباح .. ففتح

له باب السور ليدخل، وصوب البندقية إلى رأسه، وأطلق عليه النار ثم أوى إلى فراشه وهو يصب اللعنات على الكلب الذي سحب نفسه مستجمعاً آخر جهد في جسده ليصل إلى باب الدار التي يقطنها أبو جدي.. وهناك سقط ميتاً واضعاً رأسه فوق حذائه الجلدي.

في نفس الليلة لم يسمع النمر ضجيج الكلب وتباحه، فكر وفكر وقال لنفسه: لعلها خديعة من الكلب.. وكان الجوع قد مسه بالضرر وفتك بقواه لكن عزمته ظلت صلبة لأنه غير مستعد للفشل هذه المرة، إذ درس الخطة جيداً وعانى كثيراً وعليه أن يتأني ولا يستعجل البتة.. غير أنه في الثلث الأخير من الليل قفز من مكمنه وصعد بحذر إلى قمة الهضبة ولم يعد بينه وبين الدار سوى عشرين متراً فقط، فاعتزم أن يقتحم دار أبي جدي لينهش لحمه ويكسر عظمه فوق سريره، وحين عرج إلى قرب الدار اشتم رائحة الكلب قرقيس ميتاً، فغيّر اتجاهه ناحية زريبة الأغنام المزدهمة بكثرة جوفها وحفر عند بابها حفرة بحجم

جسده حتى نفذ إلى الداخل ثم ملأ بطنه بما لذ له من الحملان الرضع، وقضى على ما بقي من الأغنام والمواشي خنقاً وغادر سريعا إلى وكره بالجبل وهو منتفخ الكرش، منشرح النفس... أما أبو جدي فقد علم بما حدث في الصباح الباكر فحزن وتألم وأصابه قهر شديد.. لم يكن هذا من أجل الأغنام الفانية أو المواشي الأخرى المختوقة وإنما من أجل قرقيس وحده الذي قتله ببندقيته، فانتصب فوق جسده الممدود وراح ينشج قائلاً بمرارة: سامحني يا قرقيس، لو كنت رجلاً لعملت لك جنازة عظيمة ومأتماً لا نظير له.

ونظر إلى الجبل وجعل يصرخ بوعيد: والله لأنتقم من هذه الجبال ومن فيها. وقام أبو جدي لساعته باستدعاء عمال الديناميت وضناعف أجروهم وطلب منهم تفجير الجبل برمته إن أمكن ذلك، وإلا فمن الضرورة الملحة أن يقوموا بنسف مأوى النمر على الجبل، وبالفعل استطاعوا تفجيره فظل الأخير منتقلاً من مأوى إلى آخر بين تلك الجبال العالية.

مع هذا ظلت الحرب مستعرة بين الطرفين،

وكانت سجلاً إلا أن أبا جدي ظل ينجر في
رصاصات بندقيته الصخور المبعثرة على جوانب
الشعاب الواقعة على طريق النمر المخطط.

بينما حانت له أحد الأيام صدفة جميلة لم تكن
منتظرة ، حيث رأى النمر يتتأهب على ربوة محاذية
له قرب عين ماء دافقة ، فتسلل أبو جدي بين أشجار
البن حتى اتخذ مكاناً جيداً و صوب البندقية إلى رأسه ،
وضغط الزناد ، فأصاب العيار فحذه الأيمن لأن النمر
موفور الحظ وثب في لحظة إطلاق النار... وظن أبو
جدي أنه قتله واستراح من شره، واختفى النمر لمدة
شهر كامل ، ثم رجع أخيراً يتوكأ على قدمه المصابة
فأسف أبو جدي حين رآه على إحدى القمم البعيدة ،
وسمع صوته الهادر ينبئ عن عيد ومعترك قاسٍ
قريب ...

وفي يوم كان النمر على قمة جبل الباز الذي
انطلقت منه أول شرارات هذا الصراع ، وبينما هو
يتأهب للسطو على أبي جدي في وضوح النهار ، وقد
أعياه البلل من الصراع الرتيب الذي لم يحسم بعد ،

إذا به يرى أعداداً كبيرة من الناس يهرعون إلى القلعة من طرق عديدة وهم لابسون السواد. فراعه المشهد وأحس بشعور غريب وعجيب لم يسبق له أن شعر به، شعور يشبه ما ينتاب الراحل إلى وطن مجهول من وحشة وشجن.. نزل النمر المخطط إلى ربوة قريبة من القلعة، فرأى الناس عن كثب يخرجون من الدار الكبير، حاملين تابوتاً كبيراً على أعناقهم. فعلم أنها جنازة أحد أموات القلعة. ولم يلبث أن اقترب أكثر حتى لبد فوق صخرة على مرمى البصر، وراح يحدق في وجوه الناس، ويتأملهم واحداً تلو الآخر، لكنه لم يجد عدوه اللدود، لم ير أبا جدي بين الحضور. وكان قد رآه في اليوم السابق قرب المقبرة يتأمل فيها.. عندئذ طأطأ النمر رأسه وانهمرت دموعه من عينيه وهمس لنفسه بانكسار:

- لقد مات خصمي ومن قبله كلبه الوفي مات كذلك. وبقيت أنا والقلعة وهذه الجبال الجامدة.. ولم يعد لي هنا عدو ولا صديق..

وبعد أن أتم همسه الحزين دق ذيله على الأرض

ثلاثاً وأطلق ثلاثة أصوات هادرة وهو يعدو مبتعداً عن القلعة.. سمع الناس صوته الأول على قمة جبل الباز وهم يرونه. وسمعوا صوته الثاني في أقصى تلك الحيود ولم يروه. أما صوته الثالث فلم يسمعه البتة فقد رحل مخفياً وراءه هذه الحكاية..



المختويات

٧ الثعبان الأسود
١٢ كأن لم يكن
١٧ الذهب الأخضر
٢٢ الباهوت
٣٢ روميو بريدينا
٣٧ في إنتظار الصباح
٤١ يوميات يزن وتململ المرأة
٤٤ آخر ثانية من عمره
٤٨ جفاء
٥٤ كوكب من لحم على مجرة فاخرة
٥٨ هنادي.. مملكتي الضائعة
٦١ أميرة أسماك الزينة
٦٥ لن أعود إليكم
٦٨ الوردة في اليوم الرابع
٧٣ الورقة رقم خمسة وأربعين
٨٠ صراع حتى الموت

of the host. The host was killed by the parasite, and the parasite was found in the host's body.

DISCUSSION

The present study is the first to show that the parasite, *Microsporidium*, is a true parasite of the host.

The parasite was found in the host's body, and the host was killed by the parasite.

The parasite was found in the host's body, and the host was killed by the parasite.

The parasite was found in the host's body, and the host was killed by the parasite.

The parasite was found in the host's body, and the host was killed by the parasite.

The parasite was found in the host's body, and the host was killed by the parasite.

The parasite was found in the host's body, and the host was killed by the parasite.

The parasite was found in the host's body, and the host was killed by the parasite.

The parasite was found in the host's body, and the host was killed by the parasite.

The parasite was found in the host's body, and the host was killed by the parasite.

The parasite was found in the host's body, and the host was killed by the parasite.

The parasite was found in the host's body, and the host was killed by the parasite.

The parasite was found in the host's body, and the host was killed by the parasite.

The parasite was found in the host's body, and the host was killed by the parasite.

The parasite was found in the host's body, and the host was killed by the parasite.

The parasite was found in the host's body, and the host was killed by the parasite.

The parasite was found in the host's body, and the host was killed by the parasite.